المعتصم بالله المؤمن

المفتّش ليث

1 + 1 = ?

واحد + واحد

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

...المفتّش ليث...

"واحد + واحد"

و "مفتش أم ساحر"

تأليف:

المعتصم بالله المؤمن

- عيدكم سعيد يا سيّدي!
- وعيدك أيضاً!

وأخذ المفتّش أغراضه خارجاً من المكتب إلى عطلة العيد عندما فتح الباب ووجد امرأةً تحمل طفلاً في وجهه.. وفي حين أبعد عينيه عنها قالت له:
- هل المفتّش ليث موجود؟
- نعم، موجود..

فنظرت المرأة خلف المفتّش وقالت:
- هلّا تركتني أدخل إليه؟

فابتعد المفتّش ودخلت المرأة مع طفليها متّجهةً إلى المساعد سامي، كان أحد الطّفلين بين يديها والآخر في نحو العاشرة من عمره يلحق بها، أما المفتّش فقد وقف ينظر الخبر.. وقالت المرأة للمساعد:
- طاب مساؤك يا حضرة المفتّش.. أنا فاتنة محمود، أكيد تذكرني..

ورفع المساعد عينيه عن الكتابة بينما أردفت:
- لا زلت أؤكّد لكم أنّ عارف بريء.. لا يعقل أن تسجنوا شخصاً بريئاً عشرين سنةً ظلماً.. هذا لا يجوز .. مضى على الأمر أشهرٌ

فقط ومع ذلك فإنّ حالي وحال هذين الطّفلين تزداد سوءاً.. لا يمكننا أن نعيش دونه.. يشهد اللّه أنّنا بحاجةٍ إليه.. صدّقوني إنّه بريء.. برييييء!

وبدأ صوتها بالبكاء بينما أخذ الطّفل يندّد:
- أعيدوا أبي.. أعيدوا أبي!

وأجاب المساعد أخيراً:
- إنّ الكلام هذا لا يجدي.. إنّ الأدلة كلّها تشير عكس هذا وقد صدر حكم القاضي.. والظّلم الحقيقيّ هو أن لا يعاقب زوجك بعد الجريمة التي ارتكبها!

وقبل أن تقول المرأة شيئاً كان المفتّش قد جلس على كرسيّه ثانيةً قائلاً للمساعد:
- ما هذه القضيّة أيّها المساعد؟

وتأتأت المرأة قائلةً للمفتّش:
- ح..حضرتك المفتّش؟!.. لكن هذا الذي حقّق في قضيتنا!
فقال المساعد:
- أنا نائب ومساعد المفتّش ليث ولست المفتّش.. منذ ذلك الوقت وأنا أحاول أن أشرح لك!
- أوه آسفة.. أنا لا أفهم في أموركم.. ولكن لم لم تحضر بنفسك إذاً يا حضرة المفتّش؟
- المفتّش يا سيّدتي كان في المشفى في تلك الفترة..

وأعطى المساعد ملف القضيّة للمفتّش قائلاً:
- لقد اطّلعت عليه ووقّعت عليه بنفسك..
- صحيح ولكنّي اعتمدتّ على تقريرك بما أنّني كنت عاجزاً عن التّحقّق بنفسي..

وطالع المفتّش الملف بسرعةٍ ثمّ قال:
- والآن سأستمع إليك.. تفضّلي، اجلسي واروي لي ما حدث كما رأيت أنت..

وجلست المرأة وأعطت الطّفل لأخيه الأكبر لتستجمع أفكارها ثمّ أغمضت عينيها وقالت:
- في ذلك اليوم اتّصل مهران بزوجي عارف ليخرجا في رحلة صيدٍ كالعادة.. ومهران هذا هو صديق زوجي المفضّل.. كلّ جمعةٍ يخرجان سويّاً ويصطادان غزالاً أو طيوراً من المنطقة الجبليّة.. وكانا ناجحين بالفعل.. وكانا يبدوان متحابّين جدّاً!

وفي تلك الجمعة، خرج عارف مع بندقيّته كالعادة وهو يوصيني بإعداد الإناء وغلي الماء قبل عودته فهو لن يتأخّر....

وسكتت المرأة بغصّةٍ فأجابها المفتّش مبتسماً:
- يبدو أنّه لم يقل 'إن شاء اللّه'..
فابتلعت المرأة غصّتها وقالت باستغراب:
- أظنّ ذلك.. هذه أوّل مرّةٍ أرى فيها رجل شرطةٍ يقول هذا

الكلام!
ولكنّه لم يعد.. وحلّ المساء ولم يعد.. وجفّت الماء من كثرة الغليان ولم يعد.. وخرج ابني ليبحث عنه ولم يجده.. فخرجت أبحث عنه وأسأل عنه بلا جواب.. حتّى قرّرت أن أعلم الشّرطة فأعلموني هم أنّهم قد قبضوا عليه فصرخت وحاول الشّرطيّ تهدئتي وقال لي أنّ هذا مؤقّتٌ فقط..
- كذب عليك ليهدّئك..
- بالضّبط.. وفيما بعد قالوا لي: مهران مختفي بلا أثر.. وشاهدان يشهدان أنّهما سمعا صدى صوته يصرخ ويستغيث من أعلى الجبل وعندما وصلا لم يجدا إلّا زوجك في المكان وثيابه مصبوغةٌ بالدّم.. والآن أخبرينا: واحد + واحد.. ماذا يساوي؟

فأجاب المفتّش مبتسماً:
- اثنان..
فارتدّت المرأة وقد ظهر الضّيق على وجهها فأردف المفتّش:
- إذا كان الواحدان في نفس السّطر ونفس العمليّة.. أمّا إذا لم يكونا كذلك فمن العبث جمعهما!

وهنا تدخّل المساعد:
- سيّدي، مسحنا المكان أنا والرّجال شبراً شبراً.. وصعدنا ونزلنا ودار دماغنا ولا وجدنا أثراً للرّجل إلّا مع عارف.. وجدنا مع عارف كلّ أوراق مهران وحتّى بندقيّته.. وإذاً واحد + واحد.. ماذا يساوي؟
وأجاب المفتّش:

- اثنان!

ثمّ أردف المفتّش:
- تعجبني قضيّة 'الواحد + واحد' هذه ، وأفضل ما في الأمر أنّني بارعٌ في الرّياضيّات!

فنهض المفتّش بينما صرخت المرأة:
- لا!.. ليس اثنان.. عارف بريء.. أؤكّد لكم.. اسألوه عن الأمر.. اسمعوا القصّة منه!
فقال المساعد:
- سمعناها ألف مرّة.. لا يعلم عنه إلّا أنّ مهران كان يلاحق ظبياً يقفز إلى أسفل الجبل ولذا ترك أغراضه عنده.. ولكن كيف يصطاد ظبياً رغم أنّ بندقيّته مع عارف أصلاً؟.. واحد + واحد.. ماذا يساوي؟
وأجاب المفتّش مجدّداً:
- اثنان!

فصاحت المرأة:
- لا!!.. لا يساوي اثنان.. قال عارف أيضاً أنّ مهران اشترى بندقيّةً جديدةً في الطّريق ولذلك ترك القديمة معه.. إنّ عارف بريء.. برييييء.. لم لا تصدّقون ذلك؟؟

وأجهشت المرأة في البكاء وتبعها صغيرها بينما خرج المفتّش من وراء مكتبه قائلاً:

- الاحتمال الوحيد الذي قد يكون الحلّ فيه هو أن نجد مهران.. ولكن كما تعرفين: بالتّأكيد ازداد الأمر صعوبةً بعد مرور أشهرٍ على الحادثة..

ونهضت المرأة منكّسة الرّأس من الحزن عندما تعثّرت وسقطت على الأرض.. فساعدها ابنها على النّهوض عندما اكتشفت أنّ حذاءها قد انكسر فولولت بصوتٍ خافتٍ من الحزن وكأنّ مصيبةً أخرى قد سقطت على رأسها وخرجت عارجةً بحذاءها المكسور بينما نادى المفتّش الصبيّ وأعطاه رزمة نقودٍ قائلاً:
- هذا تعويضٌ لكم يا بني..

فابتسمت عينا الصّبيّ وركض إلى أمّه بينما تبادل المفتّش مع مساعده نظرةً قبل أن يقول:
- تقول: عيدٌ سعيد؟؟.. لا عيد لي هذا العيد قبل أن أجد مهران هذا!

وأخرج المفتّش جوّاله قائلاً:
- أرسل إليّ موقع المنطقة..
- ولكن يا سيّدي.. أستجد أنت في هذا اللّيل ما لم يجده سبعة رجال في أيّام؟؟.. لقد نبشنا الأرض وما تركنا حجراً على حجر!
- أسمعت ما قلت؟!
- نعم حاضر.. على الفور..

وأخرج المساعد جوّاله ليرسل الموقع مغتاظاً بينما ركب

المفتّش سيّارته منطلقاً على الفور والمساعد يدعو ويقول:
- من يظنّ نفسه؟.. سيرى أنّه لن يستطيع.. أو على الأقلّ أرجو ألّا يستطيع.. يا ربّي!.. إذا وجده سأبدو أبلهاً!
ولكنّ المفتّش كان قد وصل المكان خلال نصف ساعةٍ ونزل يشاهد قمّة ذلك الجبل العالي في ضوء الغروب الذّهبيّ ومضى يتفحّص المكان مسرع الخطا حتّى وقف في المكان الذي سمع فيه الشّاهدان الصّراخ.. كان سفحاً وسط الجبل وهناك التمعت عيناه وابتسم!

كانت عينا المساعد سامي مشدوهةً تماماً وهو يتفحّص البندقيّة اللّمّاعة التي وجدها على مكتب المفتّش ليث بعد ثلاثة أيّامٍ وقد انقضى العيد.. وتمتم بيأس:
- ياربّي.. لقد وجده.. وجده.. كيف.. كيييييف؟

وما هي إلّا دقائق قبل أن يدخل المفتّش ملقياً التّحية:
- السّلام عليكم.. كلّ عامٍ وأنت بخير أيّها المساعد!
- وعليكم السّلام.. وأنت بخيرٍ يا سيّدي.. أرجو أن تكون قد سعدت بعيدك!
- الحمد لله.. وأشدّ ما يسعدني أنّني شاركت عائلةً بسعادتي!

ولم يجب المساعد فالغيرة كانت قد كمّمت فمه بينما أردف المفتّش:
- أرسل إلى المحكمة فوراً لنستأنف القضيّة.. يكفي أنّه قضى العيد في السّجن فضلاً عن تلك الأشهر.. كم وراء تلك القضبان

من مظلومين!
- ولكن... أين وجدتّه؟.. أنزلته إليك الملائكة؟

فانفجر المفتّش ضاحكاً وقال:
- يا ليت الأمر كذلك!.. ولكن على العكس أنا من نزل إليه!
- نزلت؟؟.. تعني أنّه كان في الأسفل؟
- لم أحتج إلّا أن أقف في مكان الشّاهدين لأحلّ القضيّة!

وهزّ المساعد رأسه حين لم يفهم ثمّ قال:
- اعذرني يا حضرة المفتّش.. فأنا ليس لي ذكاؤك.. وقفت هناك مرّاتٍ ولم يعنِ لي هذا شيئاً!

فابتسم المفتّش وقال:
- لا يحتاج الأمر إلى ذكاءٍ أصلاً فقد تمثّلت القضيّة ووضعت نفسي مكان الشّاهدين بالضّبط بينما وضعت هاتفي يرنّ في المكان الذي كان عارف فيه حين وُجد.. وتمثّلت الحادثة!

- حسناً.. أنت الشّهود والهاتف هو مهران.. إذاً من كان عارف في تمثيليّتك؟
- بل قل: 'من كان مهران؟'، لأنّ عارف كان هو الهاتف فمهران لم يكن هناك أصلاً!
- لم أعد أفهم شيئاً!

- طبعاً، لأنّك لم تكن معي ولم تتوصّل إلى النّتيجة المدهشة

التي وصلت إليها.. حينما وقفت هناك لم أسمع رنين هاتفي على الإطلاق!

- ماذا؟!!.. ربّما كان قد توقّف!

- لا طبعاً لقد تأكدتّ!

- رغم أنّ مكان عارف يمكن رؤيته من مكان الشّاهدين.. ربّما أخطأت المكان!

- كيف أكون أخطأت وقد وجدته بالفعل؟؟

- ح.. حسناً.. وإذاً ما تفسير هذا؟

- إنّه الجبل..

- الجبل؟

- نعم، فمكان الشّاهدين كان بين الصّخور بحيث يخرج الصّوت منه عالياً بينما يدخل إليه منخفضاً وبما أنّ صوت هاتفي كان منخفضاً بسبب علوّ المكان فقد ازداد انخفاضاً عند وجودي في تلك المنطقة حيث صار سماعه صعباً على البشر جدّاً وهذا ما يعني براءة عارف في كلّ الأحوال!

- ولكن.. أوراق مهران وأغراضه كلّها كانت مع عارف!.. ومن ناحيةٍ أخرى؛ هل تعني أنّ الشّاهدين كانا يكذبان؟.. وربّما يكونان هما المجرمين وقد لفّقا التّهمة؟

- كفاك ظنوناً.. لم نثبت بعد أنّهما كاذبين.. لا يزال أمامنا تجربةٌ أخرى.. تجربة الحجر!

- أن ترميه في الوادي؟

- بالضّبط.. وهنا صدر الصّدى مضاعفاً إلى الأعلى وكأنّي رميت الحجر من الأعلى!

- إذاً بالفعل كان يلحق بظبيٍ إلى أسفل الجبل.. وطبعاً نزلت

أنت إلى الوادي ووجدتّ مهران.. أقصد هيكله العظميّ..
- فعلاً.. نزلت إلى الوادي بعد أن صلّيت المغرب.. ولم يكن عميقاً فوصلت بسرعةٍ وأخذت أبحث بين النّباتات الملتفّة هنا وهناك، وبعد عناءٍ....

- وجدتَّ بندقيّة مهران!
- كفاك تسرّعاً أيّها المساعد.. كلمةٌ أخرى وسأتركك!

فسكت المساعد بينما أردف المفتّش:
- شممت رائحة حيوانٍ تفوح في المكان.. وكأنّني في عرين حيوانٍ ما.. ورغماً عنّي بدأت أشعر بالخوف حين سمعت صوتاً يشبه الهمهمة.. وتذكّرت أنّ مهران كان يستنجد كما أنّه لم يعد.. وهنا تيقّنت أنّني في خطرٍ لوحدي وأردتّ العودة ولكن بعد فوات الأوان..

وسحب المفتّش أنفاسه وهو يتذكّر لحظاتٍ رهيبة ثمّ قال:
- كان الدّبّ قد اشتمّ رائحتي وانطلق ورائي في تلك اللّحظات.. فسقط الضّوء من يدي.. وحاولت أن لا أبدو له خائفاً كما يقول مروّضو الحيوانات ولكن بلا فائدةٍ لأنّ عرق الخوف الذي كان قد سال منّي كان قد فصل الأمر بيني وبينه وبالفعل قرّر أنّني فريسة وانطلق إليّ.. أقصد عليّ..

ولمّا لم يكن عندي فرصةٌ للهرب أمام هذا الوحش سللت مسدّسي وأخذت أحاول أن أصيبه رغم الظّلام وأفعل ما يفعله

النّاس عندما يخافون!
- وماذا يفعلون؟
- يصبحون صالحين ويدعون الله بكلّ إخلاص!

فضحك المساعد بينما أردف المفتّش مبتسماً:
- واحد.. اثنان.. ثلاثة.. ولا زال الوحش يزمجر.. لا دليل على إصابته.. يا ربّي.. وأخذت أطلق بقيّة رصاصاتي يائساً وأنا أتخيّل كيف سينهشني!
- والأسوأ أنّك تركت هاتفك في أعلى الجبل..

- نعم.. وفشلت رصاصاتي وزمجر بقربي وكأنّه وقف لينقضّ عليّ بينما لم يبقَ في يدي إلّا المسدّس فأمسكته ورميته بكلّ قوّتي على اتّجاه الصّوت وأنا أدعو الله وأقول:" يا رب، هب لي الحياة من أجل تلك المرأة وصغيريها!"
وفوراً سقطت كتلة الفراء فوقي بكلّ ثقله.. وأغمضت عينيّ أنتظر النّهاية عندما بدأت أختنق ولم يحدث شيء!

فانفجر المساعد ضاحكاً:
- سقط عليك ميّتاً؟!
- سحبت نفسي من تحته وأنا أسعل مختنقاً فوجدته ساكناً.. لم أعلم إن كان ميّتاً أم في إغماء لأنّني كنت قد أخرجت سكيني الطّويلة واستغللت الفرصة تماماً!

وأخرجت هاتفي الآخر وأشعلت الضّوء متأكّداً من موته والعرق

يكدّ منّي.. وبعدها أردتّ الهرب فوراً قبل أن تخرج مفاجأةٌ أخرى ولكنّني تعثّرت بهذه!

- بالبندقيّة؟

- لا بل بهذه!

ووقعت عينا المساعد على جمجمةٍ على المكتب فابتلع ريقه وقال:

- لم.. لم .. لم أنتبه إلى أنّ مهران هنا!

- لقد أخذ بريق البندقيّة عينيك!.. وهذا ما حدث عندما وجّهت أنا الضّوء إلى الأرض بعد أن تعثّرت؛ فقد التمعت البندقيّة الجديدة فتفحّصتها وتبيّن لي أنّها سيّئة الصّنع فقد كان الرّصاص عالقاً فيها بحيث أنّها لا تطلق.. وبعدها، بعد أن دقّقت النّظر رأيت الجمجمة وبعض العظام..

وإذاً صدقت المرأة؛ ف'واحد + واحد' لم يساوي اثنين؛ لأنّ 'الواحد' الأوّل كان عارف وكانت فريسته هي الغزال الذي صاده وليس صديقه.. و'الواحد' الثّاني كان مهران وكان فريسة الدّب وليس فريسة عارف.. رحمه اللّه!

فحدّق المساعد بالجمجمة ثمّ قال:

- كلّ عامٍ وأنت **<u>بخير</u>** يا سيّدي!

فضحك المفتّش وقال:

- وأنت بخيرٍ أيّها المساعد!.. كما ترى لقد كان عارف سيقضي عشرين سنةً سجيناً ويقضي أولاده عشرين سنةً أيتاماً وربّما

يجعلهم الفقر لصوصاً، من أجل ماذا؟.. من أجل مجرّد ظبيّ وظنونٍ متسرّعة!.. ولكنّ الأمور في الدّنيا لا تجري عبثاً كما يبدو.. فالله دائماً على كلّ شيءٍ رقيب، ولدعاء المظلوم مجيب!.. ومن ناحيةٍ أخرى: أعطني ملفات القضايا الأخرى التي في تلك الفترة لأعيد النّظر فيها!!!

... تمّت بفضل الله العظيم ...

المعتصم بالله المؤمن

المفتّش ليث

مفتّش ام ساحر

مؤلّفاتٌ أخرى للمعتصم بالله المؤمن على مكتبة نور:

فيمن تولّيت...

المعتصم بالله المؤمن

ستُّ رَصاصات... ..وولّاعة!

...سرّ الأحمر...

...بين الصّخر والماء...

كتابُ المليونير

عامر